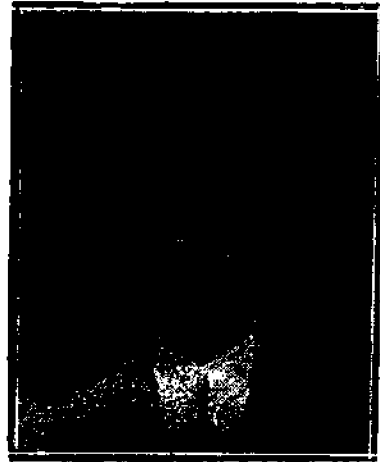


تأملات

للسيد محمد أحمد الفخراوى

—•—•—•—



ضلّت الإنسانية
عن ربها وعبدت
المال والقوة ، ودانت
لها بالطلب والحرص
والإكبار ؛ وفي سبيل
المال والقوة نُسِي
كل شيء : من دين
أو فضيلة أو مبدأ ،
وفل كل شيء من :

ظلم وقطيعة ونكث . يندع كلُّ كلا في السلم كما يتخادع أهل
الحرب ، كأن أيام الناس في هذه المدنية حرب كلها ولكن
بسلح مختلف . فلحرب السلم سلاحها وقتونها وخططها ،
كما لحرب اللبابة والقوامسة والطيارة . ففي السلم يتحارب الناس
وتتحارب الأمم بالتجارة وحواجزها الجركية ، وبالصناعة وموادها
انغام ، ثم بالدعاية والسياسة ؛ وفي سبيل ذلك يستخر الأدب
بفنونهِ والعلم بفروعه ، تتنافس في ذلك الأمم ، وتتنافس في ذلك
الطوائف والأفراد داخل كل أمة ؛ حتى الفضائل جلت سلاحاً
وسبيلاً إلى الغلب . فالتاجر إن صدق يصدق لا لأن الكذب
يزرى ، أو لأنه منعى عنه في الدين ، ولكن لأن الصدق يجزى
ويربح ، ولو وجد في الكذب ربحاً لكذب . والأم تتماهد ،
فإن وجدت في الوفاء ربحاً وقت ، وإن وجدت الربح في النكث
نكثت . قالال هو البنية ، والقوة هي الناية ، والشهوة هي السائق ،
والهوى هو الطالب ، كأن قد غلب على هذه المدنية في ماملاتها
روح الأحرار وقانون الأذغال ؛ وما يقول « دروين » إنه
كان غالباً على أنواع الحيوان في أحقاب التشوء

ويل للإنسان من نفسه ومن أخيه الإنسان حين يضل كلُّ
عن ربه . فلو لم يكن للدين ضرورة ، لجملة حال الناس اليوم
ضرورة ؛ ولو لم يقم على وجوب الدين برهان ، لكان ما آل
إليه أمر الناس بعد ترك الدين هو البرهان . إلا أن الإنسان
يذكر وينسى ، ويؤمن ويكفر ، ويعطي ويحصى ، حسب الظروف .
في الشدة يلجأ إلى الله ، وفي البلاء يكثر من الدعاء ، ويستغفر ربه
وفيب : يفعل ذلك الأفراد ، ويفعل ذلك الأمم ، حتى إذا
استجاب الله وفرج الكرب وكشف البلاء ، نسي الإنسان
ونسيت الأمم ما كانوا يدعون الله من أجله ، وجعلوا لله أنداداً ،
واقبلوا له أنداداً ، وعادوا إلى آلهتهم من الشهوة والقوة والمال ،
كأن لم يكن بلاء وكربة ، وكأن لم يكن دعاء وتوبة ؛ وجعلوا
يضحكون من خوفهم الذي كان ، وجزموا بأن أسبابه لن تعود !
لقد كانت الحرب الماضية ، وجاءت الناس بكرب لم يروا مثله
من قبل ، فجأر الناس إلى الله وجأرت الأمم ، وجعلت تنذر
النذور ، وتبذر الوعود والمهود ، وقيم الصلوات العامة ، تأمر
بها الحكومات ، ويركع فيها الحكام والملوك . ثم جاء النصر
وجاء السلم ، فذهبت النذور هباء ، ولم تلق الوعود ولا المهود
وفاء ؛ وكل ما كان هنالك أن جرى بأسماء جديدة أطلقت
على سميات قديمة ، فذهب الاستعمار وجاء الانتداب ، وذهبت
الحالفات وجاءت عصبة الأمم ، وعاد الناس وعادت الأمم بتقني
الكسب وتبقي المال والقوة ، حتى كان من الأمم المنتجة من كانت
تحرق ما زاد من غلات أرضها لتبيع الباقي من الأمم الأخرى
بشمن أعلى ، وانحدر المال إلى خزائن بعض الأمم ، كما يتحد الماء
إلى مهابطه من الأرض ، تجف بقاع منه وغرقت بقاع ، وجاءت
أم وتحت أم ، واقلبت الأوضاع واشتد النزاع ، وخسرت
الإنسانية السلم ، فخرست بذلك الحرب قبله ، إذ قامت هذه الحرب
قامت هذه الحرب فاذا كان ؟ كان الذي يعرف كل إنسان
أنه كان في الحرب الماضية : فالنذور تنذر ، والوعود تبذر ،
والصلوات العامة تقام ؛ وأصبحت الأمم للتمدينة لا ترى أنها
من الأمن ، واعتزمت في مستقبلها أن تتنافس في قسمة المواد
انغام لتعيش إلى الأبد في سلام !
إنها مدنية مجنونة هذه التي تسيى الله وتمصاه في الرخاء بعد

في سياته الكريمة التي مثلت حياة الأمم وحياة الأفراد كيف ينبغي أن تكون .

لقد علم الله أن هذه المدينة المقدسة ستكون ، وأن الإنسانية ستقلب في أطوارها التي تقلبت فيها ، وأنها ستفتح لها أبواب العلم ، وأن هذا العلم سيفتح لها فتوحاً من القوة ، وأن هذه القوة ستسلها إلى صفوف من المشكلات لا تحل حلاً مرضياً موقفاً إلا طبق

ما سن الله للقطرة من سنن ، ولتنفس البشرية من قوانين ، عرفت الإنسانية بعضها ، وجهلت منها أكثر مما عرفت . فلو أن الإنسانية وكلت إلى نفسها وعلمها وجهدها وحده ما خرجت ، وما أمكنها أن تخرج من ورطاتها التي هي لا يد واقعة فيها بتعمقها في العلم الطبيعي الذي يفتح لها كنوز الأرض من غير أن يربها طريق العدل في استعمالها . فأراد الله سبحانه أن يتم نعمته على الإنسان

بأن يجمع له بين القوة وبين الهدى في استعمال القوة ، فأناه العلم ، وقبل أن يؤتيه العلم أنزل عليه الكتاب والحكمة ليريه كيف يتق شر العلم ويفتح خيره بالوقوف في استعماله عند الحدود التي حددها الله فاطر الإنسان وقاطر القوى التي سخرها بالعلم للإنسان . فإذا كان من عجيب صنع الله للإنسان أن وهبه العقل الذي

استفتح به كنوز العلم ، فإن أعجب من ذلك أن تفضل سبحانه فأنزل له الدين ليقيه ما لا يمكن العقل ولا العلم أن يكفوه إياه من الشرور والأخطار

أقسم أن نعمة الله على الناس في الدين أعجب وأكبر من نعمته عليهم بالشمس أو بالقمر أو بما خلق في الأرض من كائنات ينعم بها الإنسان أو لا ينعم ، شكوراً أو غير شكور . إن هذه الكائنات خلق من خلق الله ، والإنسان واحد منها يقوى أمام بعض ويضعف إزاء بعض ، ينتفع بها أحياناً وتضرر بها أحياناً ، لكن الدين خير كله ونفع كله وسعادة صرفة لمن يتقبله مؤمناً ، ويعمل به مسلماً . وأقسم لو سخرت العلوم هذه الكائنات كلها للإنسان وكان الإنسان بتسخيرها يتمتع في هذه الحياة للثمة كلها من غير تعب ولا ملل ولا كummer ولا حزن ولا ضعف ولا مرض حتى إذا مات كان الحساب وكان العقاب إذن لكانت نعمة الله على الإنسان بالدين الذي يقيه عذاب الآخرة ويؤتيه نعيمها أكبر من نعمته عليه بالعلم بقدر ما بين الآخرة وبين الدنيا من فرق وفضل في المدة

أن كشف عنها البلاء ، حتى إذا أخذها بنكثها وإعماها جأرت إليه تسأله النجاة ولم يكن لديها ما تعتمد به للناس أو تنفذه لله إلا أن تتعاش في سلام ، وتتناصف في المواد الخام .

لقد أفلست المدينة الفرية وحق عليها ما حق على الدنيات الخاطبة قلبها . وما هي تنتسف بقوتها الكامنة التي من الله بها عليها فلم تطلعه فيها . ها هي حين فسقت عن أمر الله تنفجر بما اخترت من علم ومال حولتها فيما حولت قنابل وطرايد تلقى من الجو وتنثر في البر والبحر على المحارب وغير المحارب على السواء (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) إنها مدينة كمثل القرية التي ضربها الله مثلاً في القرآن : (كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)

إنها مدينة مسيحية اسما لكنها لم تهم قواعدا على نصرانية ولا إسلام . فنصرانية عيسى صلوات الله عليه ليس فيها حرب ولا سلاح ولا استعمار . والحرب في الإسلام لا تكون في سبيل الفرد ولا في سبيل الأمة ولا في سبيل الجنس ، ولكن في سبيل الله لينكون الحكم في الأرض لله .

إن الاستعمار الذي ابتدعته مدينة الغرب ليس من الإسلام في شيء ، ولا من حكم الله في شيء . فاستغلال القوى الضعيف فرداً كان أو أمة ينكره الإسلام كل الإنكار . وتحكم أمة في أمة بالهوى لا يعرفه الإسلام ولم يشرعه الله . وعلو أمة على أمة وشعب على شعب أو جنس على جنس حرمه الله الذي سوى بين الناس وسوى بين الأجناس ولم يجعل لأحد على أحد فضلاً إلا بالقوى : تقوى الله الذي خلق الأحمر والأصفر والأبيض والأسود . فقيم استملاء فريق على فريق ؟ وفيهم تحكم لون في لون أو شعب في شعوب ؟ (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير) .

لقد أعز الله الإنسانية أيما إعزاز حين جعلها خاضعة له وحده سبحانه في الحكم ، ليس لأحد على أحد سبيل إلا بحق الله طيبق دين الله الذي بينه للناس واضح المعالم ظاهر الحدود في كتابه الكريم الذي فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً

فإن الخالق البارئ الحكيم قد جمع للانسانية بين علم الفطرة وبين إحكام تطبيقه على الحياة حين أكرمها بالإسلام دين الإنسانية الكامل الشامل الذي أنزله على محمد نبي الهجرة صلوات الله عليه . فاعجب إذن للانسانية كيف تتخبط وبين يديها الهدى ، وكيف تشقى وفي متناولها السعادة ، وكيف تموت وعلى مقربة منها الحياة ؟! ثم اعجب عجباً بعد عجب من قوم يزعمون من بين الإنسانية أنهم مسلمون إلى الله مؤمنون بالكتاب الذي أنزل والرسول الذي أرسل ، ثم هم يعطلونه ولا يقيمونه ، ويضيعونه ولا يحفظونه ، بل هم يلتمسون الهدى في غيره ، ويتطلبون الحياة ممن ضل عن روحه ونوره ، ويولون قلوبهم ووجوههم لاشطر الدنية الإسلامية التي أقامها الرسول بتطبيق كتاب الله فكانت مثلاً عملياً أعلى للانسانية كلها ، ولكن شطر الدنية الفرية التي ضلت عن ربها وعبدت المال والقوة والجاه فأداها ذلك إلى الهلكة التي ترى والتي تحاول التخلص منها فلا تستطيع .

فريق من الإنسانية بيدم النور فلا يستنبطون به ! وفريق في الظلمات يظنون أنفسهم في نور ! أيهما يا ترى أظلم ؟ ولأيهما يا ترى تكون النجاة ؟

محمد أحمد القمراوي

إدارة البلديات — مياه

تقبل العطاءات بإدارة البلديات
(بوستان قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم
٢٣ فبراير سنة ١٩٤٢ عن إنشاء عملية
مياه صغيرة للشرب بيندر فقط . وتطلب
المواصفات والشروط من الإدارة نظير
مبلغ جنيه مصرى واحد ١٩٩٢

وطولها ، أى بقدر ما بين الباقي وبين الفائ أو بين غير المتناهي والمتناهي من فرق وفضل . فكيف وهذه العلوم لا تسخر للانسان إلا جزءاً ضئيلاً مما حوله ، وقد يشقى بما يسخر له منها وقد يسعد ؛ وهو فى أحزانه وهمومه ، ومحابه ومكارهه ، وأمراضه ومصائبه ، لا يجد سلاوى ولا مخرجاً ولا عزاء إلا بالدين ، وبطاعة الله فى الدين . وكيف وهو لن يلقى النعيم الصرف الذى لا يخالطه عذاب ، والسعادة المحضة التي لا يشوبها شقاء ، إلا بعد هذه الحياة فى حياة أخرى لا نهاية لها ولا أجل إذا كان قد أطاع الله وعمل فى دينه بالدين على أن هناك معنى فى الدين الإسلامى أكرم الله به الإنسان كرامة لا يقوم بها شكر ولا ينقضى منه عجب التفكير ، ألا وهو تفعل الله جل جلاله بمخاطبة الإنسان من كتاب من عنده سبحانه على لسان رسول من البشر تقوم الأدلة القاطعة على صدقه . إن مجرد مخاطبة الخالق للمخلوق كرامة دونها كل كرامة يكبرها ويمجّلها الإنسان فى الدنيا ، فكيف والمخاطب فى كتاب عظيم كريم مبين . الحق سبحانه هو المتكلم فيه ، فليس لبشر فيه جملة أو كلمة أو حرف ! كتاب من عند فاطر الفطرة وصفه فيه جل وعلا بصفة الفطرة بقوله : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

أليس من أكبر الكرامة أن يذكر الله الإنسان ولا ينساه ، وأنه يوجه إليه الخطاب فى كتاب يهديه به سبحانه سبل السلام وسبل الهدى والنور ؟ أليس من أكبر النعمة حين علم الخالق سبحانه ضعف الإنسان وجهله وما يهدده من جرائمها من أخطار أن ينزل عليه نظاماً لحياته هو وفق الفطرة التي لم يكن الإنسان ليحيط بها ولا بسنن الله فيها ؟

إن العلم شئ وتطبيقه من غير خطأ أو خلل شئ آخر . فلو أن الإنسان أحاط بالفطرة علمه لما استطاع أن يطبقها على حياته تطبيقاً محكماً لا خلل ولا عوج فيه . بل إن صعوبة التطبيق وإصابة الحكمة فيه لترداد بازدياد ما يراد تطبيقه وتفرعه . فالإنسانية بتواها العقلية المحدودة أعجز من أن تحيط بالفطرة علماً ، ولو علت لكانت أعجز من أن تطبق علم الفطرة وتتبع منه نظاماً عملياً لحياة الإنسانية فى عصر واحد بله جميع المعصور